مرادفات التسامح في القرآن الكريم
دراسة مصطلحية سياقية دلالية حول " الصفح والعفو والغفران"

د. فوزية أحمد الواسع *
قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة سرت، سرت، ليبيا
* البريد الإلكتروني (للباحث المرجعي): foziaahmed@su.edu.ly

Synonyms of Tolerance in the Quran:
A Semantic and Contextuel Study of "Forgiveness, Pardon, and Absolution"

Dr. fowzia hamad Alwasea*
Department of Arabic Language, Faculty of Arts, University of Sirte, Sirte, Libya

Received: 10-04-2025; Accepted: 01-06-2025; Published: 11-06-2025

المُلخص:

يتناول هذا البحث دراسة مرادفات التسامح في القرآن الكريم، متمثلة في ثلاث مرادفات من مرادفاته "الصفح"، "العفو"، و"الغفران"، من خلال تحليل دلالاتها السياقية والتفسيرية. يهدف البحث إلى استكشاف الفروق الدقيقة بين هذه المصطلحات واستخداماتها المختلفة في النصوص القرآنية، مع التركيز على السياق الذي يرد فيه كل مصطلح وكيفية تأثيره في بناء المفهوم الشامل للتسامح. كما يهدف إلى فهم الأبعاد الأخلاقية والتربوية لهذه المفردات ودورها في تعزيز قيم الرحمة والمصالحة في الحياة الاجتماعية.

تتمثل أهمية البحث في تسليط الضوء على مرادفات التسامح في القرآن الكريم كأداة أساسية لتوجيه السلوك الإنساني نحو العفو والتراحم، مما يسهم في تعزيز القيم الأخلاقية داخل المجتمع. كما أن البحث يبرز أهمية فهم هذه المصطلحات في سياقاتها القرآنية المختلفة لتوضيح كيفية تطبيقها في الحياة اليومية.

من خلال التحليل السياقي والدلالي، يتوصل البحث إلى أن كل مصطلح من هذه المصطلحات يحمل دلالة متميزة، رغم اشتراكها في فكرة العفو والتسامح. حيث يُظهر "الصفح" التركيز على التنازل عن الحق، و"العفو" يشير إلى المسامحة دون قيد، بينما يُبرز "الغفران" جانبًا روحانيًا يرتبط بتطهير النفس من الذنوب. وخلص البحث إلى أن هذه المفردات لا تعكس فقط السلوك الشخصي، بل تقدم رؤية قرآنية شاملة تدعو إلى نشر السلام والمصالحة في المجتمع.

الكلمات المفتاحية: التسامح، الصفح، العفو، المصطلحية، المغفرة، المفهوم.

Abstract:

This study examines the concept of tolerance in the Qur'anic context through a terminological and contextual analysis. By focusing on key synonyms—**forgiveness**, **pardon**, and **absolution**—the research explores their meanings, usage, and implications for shaping ethical behavior and promoting compassion within society. The findings underscore that tolerance is a fundamental Islamic value, consistently emphasized in the Qur'an through various expressions. Although these terms are interconnected, each carries distinct connotations that contribute to a more comprehensive understanding of tolerance as both a spiritual and social principle.

Keywords: Tolerance, Qur'anic Concept, Terminology, Forgiveness, Pardon.

المقدمة:

الحمد لله الذي لا يُعدُّ ولا يُحصى له الثناء، والصلاة والسلام على نبيه، سيد العباد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد: فقد حرص الإنسان منذ الأزل على السعي وراء ما يعود عليه بالخير والفائدة، ويجلب له البركة واليسر في حياته. وقد خص القرآن الكريم مصطلح التسامح بعناية كبيرة، حيث أظهر في آياته أن التسامح يمثل منزلة رفيعة تقرب صاحبها إلى الله، وترتقي به في درجات الإحسان، ليحظى بمحبة الله وفضله الواسع. كما أشار القرآن إلى هذه المرتبة العظيمة، داعيًا المؤمنين إلى السعي نحوها وتحقيق الفلاح من خلال التوجه إلى التسامح كمنهج حياة وغاية سامية، وهو الطريق الذي اختاره الله لعباده ليحفظوه بعناية، إذ إنه الطريق الذي يقدم الآخرة الدائمة على الدنيا الفانية، كما وردت في السنة النبوية عدة أحاديث تشجع على التسامح، بعضها يبين أن التسامح هو أفضل أنواع الإيمان، وبعضها الآخر يوضح أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– به قولًا وفعلاً. زمن هذه الأحاديث:"أفضلُ الإيمانِ الصبرُ والسماحةُ" (بن يسار، ص1495،)، بناءً على ذلك، يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على مفهوم التسامح في القرآن الكريم، من خلال استخدام منهج الدراسة المصطلحية الذي يسهم في تفسير معاني ألفاظ القرآن الكريم السامية التي لا يمكن فهمها بشكل كامل إلا عبر التأمل والتدبر في كلام الله سبحانه وتعالى.

1- أهمية الموضوع:

يكتسب مفهوم التسامح في القرآن الكريم أهمية كبيرة، خاصة في ظل تزايد الاهتمام بتحقيق الطمأنينة والاستقرار النفسي في حياة الإنسان، في وقت يعاني فيه من فراغ روحي وضعف نفسي أمام تحديات الحياة. وما يترتب على ذلك من شعور بالاستياء من الأوضاع والصعوبات التي يواجهها، مما قد يؤدي إلى الشعور بالهزيمة والشقاء. من هنا، تظهر الحاجة الملحة للتمسك بالقيم القرآنية التي تهدي إلى الطريق المستقيم، وتدعو الناس للاعتقاد بها والالتزام بتوجيهاتها. فهذه القيم تشكل حماية ضد التأثيرات السلبية التي تروج لها بعض العلوم المادية والإنسانية، والتي تعزز من التركيز على المصلحة الفردية الآنية وتمدح المتعة المادية العابرة. هذا التوجه له تأثير سلبي على حياة الإنسان، حيث ينقله من حالة السلام والطمأنينة والمحبة إلى مشاعر السخط والصراع والعداوة، ومن التعارف والتحاب إلى التنافر والتباغض المستمر.

يسعى هذا البحث إلى دراسة مفهوم التسامح كمصطلح قرآني، لما له من خصائص متميزة تدعو إلى دراسته بشكل شامل، مع التركيز على معانيه ومعاني الألفاظ المقاربة له في النصوص القرآنية المتنوعة. بهدف الوصول إلى فهم عميق يسهم في تبني سبل السلام، وتحقيق الهداية التي تقود إلى التسامح الكامل.

تبرز أهمية هذه الدراسة في عدة جوانب أساسية، نذكر أبرزها فيما يأتي:

1. **إيضاح مفهوم التسامح القرآني** :حيث يهدف البحث إلى تفسير وتوضيح مفهوم التسامح كما ورد في القرآن الكريم، وتحديد موقعه بين المصطلحات القرآنية المتقاربة، مثل: العفو، المغفرة، والصفح، وغيرها من المفاهيم التي تشترك معه في الإطار المفهومي، مما يساعد على فهم أعمق لترابط هذه المفاهيم وتكاملها.

2. **رصد الاستعمال القرآني لمصطلح التسامح:** يظل مفهوم التسامح ومضمونه حاضرًا بقوة في الخطاب القرآني، رغم أن هذا اللفظ لم يرد صريحًا في القرآن. غير أن معانيه، ومتطلباته، وأُسسه، بل جوهره، كانت واضحة ومهيمنة في النصوص، سواء بشكل مباشر أو ضمني. وبما أنَّ العبرة ليست بالألفاظ المجردة، بل بالمعاني والمقاصد التي تحملها؛ لذلك فإنَّ البحث يدرس كيفية استخدام القرآن الكريم لمصطلح التسامح من خلال دراسة بعض مرادفاته، مع التركيز على تفسير دلالات هذا الاستخدام بما يسهم في توضيح معانيه الحقيقية؛ بهدف تعزيز الفهم العميق لهذا المصطلح في بعض الآيات القرآنية التي ورد فيها، وتفسير هذه الآيات بشكل صحيح من خلال التأمل في معاني التسامح واستنباط ما تحمله من دروس وإرشادات.

3. بيان أهمية **موضوع التسامح باعتباره من الموضوعات التي تتعلق** بالاستقرار النفسي للفرد في الحاضر والمستقبل: إذ يتناول البحث الدور المهم للتسامح في تطوير صفات، مثل: الصبر والقناعة والحلم والغفران. كما يتطرق إلى كيفية استجابة الفرد للتسامح لتهدئة نفسه ومعالجة مشاعر السخط والجزع والفزع التي قد تؤثر على سلامته النفسية. يسعى البحث إلى توضيح كيف أن التسامح يساعد في التغلب على هذه المشاعر السلبية، مما يسهم في تجنب اليأس وتحقيق حالة من الاستقرار والراحة النفسية، وبالتالي تحسين الحياة الفردية والاجتماعية، كما أنَّ التسامح وكما ذكر نصَّار ومحمود (2011) بأنَّه: شفاء للقلب, يطهره من الإلحساس بالألم والحزن والغضب، ويحل مكانها الإحساس بالرضا والطمأنينة والحب والسلام.

كما يسعى هذا البحث إلى المساهمة في إزالة اللبس والغموض الذي قد يحيط أحيانًا بالتعليم الإسلامي، والذي يُتهم خطأً بالتشدد والدعوة إلى إقصاء الآخر، وهي مزاعم لا تتوافق مع الواقع. ويتزامن هذا البحث مع تأكيد المجتمع الدولي على ضرورة التعايش السلمي بين شعوب الحضارات المختلفة والمتنوعة ثقافيًا.

2- أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

أ. توضيح مفهوم مصطلح التسامح وتحديد معناه بناءً على منهج الدراسة المصطلحية.

ب. استكشاف المعاني المتعددة لمرادفات المصطلح في مختلف سياقاته القرآنية.

د. صياغة تعريف دقيق لمصطلح التسامح في القرآن الكريم استنادًا إلى تواجده في سياقات مرادفاته المختلفة.

هـ. توضيح المعنى اللغوي والاصطلاحي لمرادفات التسامح، إلى جانب تحليل بعض مواضع ورودها في القرآن الكريم، واستنباط ما تحمله من دلالات تربوية ومقاصد اجتماعية تسهم في بناء منظومة أخلاقية متكاملة.

3. مشكلة البحث:

يسعى هذا البحث إلى دراسة مصطلح التسامح في القرآن الكريم، من خلال توضيح مفهومه عبر النصوص القرآنية التي ورد فيها من خلال مرادفاته (الصفح والعفو والغفران)، فقد جاء القرآن الكريم ليؤكد تكريم الإنسان بما فضله الله من هدايات وأعطاه من توجيهات، ليصل إلى التسامح في حياته. ويعد التسامح من أبرز المقاصد القرآنية التي تتسم بالمعاني العميقة والأسلوب اللغوي المتفرد.

يركز البحث على الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما مفهوم مصطلح التسامح في القرآن الكريم، وما دلالات استعماله في الآيات القرآنية؟

ويستند هذا السؤال الرئيس إلى مجموعة من الأسئلة الفرعية التي تساعد على فهم أبعاد الموضوع بشكل أعمق:

- ما المعاني اللغوية التي يعتمد عليها مصطلح التسامح في القرآن الكريم؟
- ما الدلالات الجزئية التي تتضمنها الآيات التي وردت فيها مرادفات هذا المصطلح؟
- كيف يمكن تحديد تعريف دقيق لمصطلح التسامح القرآني وفقًا لمنهج الدراسة المصطلحية؟

4.الدراسات السابقة:

– **دراسة عبد الله محمد أحمد ربابعة (2006)** ، بعنوان "التسامح بين القرآن الكريم والعهد الجديد: دراسة مقارنة"، التي قدمها إلى كلية الدراسات الفقهية والقانونية بجامعة آل البيت في الأردن، تناول الباحث مفهوم التسامح من منظور مقارن بين النصين الإسلامي والمسيحي.وقد خلصت الدراسة إلى وجود تقارب في البواعث الأخلاقية للتسامح بين القرآن الكريم والعهد الجديد، إلا أن هناك تباينًا واضحًا في الأسس الدينية التي ينطلق منها كل منهما. غير أن الطابع المقارن للبحث، وما تبعه من تركيز على الجوانب المشتركة، أدى إلى تراجع التركيز على الخصوصية القرآنية لمفهوم التسامح، مما جعله يغفل بعض الأبعاد العميقة في التصور الإسلامي لهذا المفهوم.

– **دراسة سالم عبود حسن** (2016)، المعنونة بـ"آيات التسامح في القرآن الكريم"، والمنشورة في *مجلة الجامعة العراقية*، المجلد 34، العدد 1 لسنة 2016 ، تناول الباحث مفهوم التسامح في القرآن الكريم من خلال أربعة محاور رئيسة: مفهوم التسامح، مظاهره في القرآن، أنواعه، وأمثلة تطبيقية من آيات التسامح.ورغم سعيه إلى إبراز جوانب هذا المفهوم القرآني، إلا أن الدراسة لم تحقق تناولًا شاملًا للآليات القرآنية التي تعزز قيمة التسامح، كما غابت عنها المقارنة التحليلية التي من شأنها أن تُبرز خصوصية التسامح في القرآن الكريم مقارنة بغيره من المرجعيات الفكرية والدينية الأخرى.

– **دراسة مختار خواجة (2019)** ، **بعنوان**"التسامح تجاه الآخر المسيء في القرآن الكريم"، والمنشور في مجلة أديان – مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، العدد 12، تناول مختار خواجة الأوامر القرآنية المتعلقة بالتسامح مع المسيء، مثل الإعراض والصفح. وخلص إلى أن التسامح في القرآن لا يعني تهاونًا مع الإساءة، بل هو منهج منضبط يقوم على كظم الغيظ، والعفو، وفتح باب الحوار. ومع أن البحث حاول الكشف عن الرؤية القرآنية للتسامح، إلا أنه ركز على بُعد واحد فقط، وهو التسامح تجاه المسيء، دون التطرق إلى الأبعاد الأوسع لهذا المفهوم.

ممَّا سبق يتُبيّن أن تلك الجهود، على الرغم من إسهامها في توضيح بعض ملامح التسامح في القرآن الكريم، إلا أنها لم تُحِط بالمفهوم من جميع جوانبه، إذ غابت عنها بعض القضايا التي كان من الضروري تناولها، ومن هذه القضايا تتبع مفهوم هذا المصطلح، ودراسة مرادفاته لغة واصطلاحاً، ومعرفة معانيها في سياقها القرآني، وكذلك دلالاتها، إضافة إلى أنَّ معظم الدراسات اتبعت مناهج استشهادية تبريرية، أكثر من كونها تفسيرية تحليلية تقوم على الفهم العميق والاستنباط المنهجي. ومن هنا، فإن موضوع التسامح في القرآن لا يزال بحاجة إلى دراسات علمية موسّعة، وهو ما نحاول في هذا البحث سدّ بعض النقص المعرفي في هذا المجال.

5.الإضافة العلمية في البحث الحالي :

من أبرز الإضافات العلمية لهذه الدراسة: تحليل الدلالات اللغوية والاصطلاحية لمفهوم التسامح والألفاظ المرادفة له، وتتبع استخدامات هذا المصطلح ومرادفاته من خلال السياقات المختلفة في النصوص القرآنية، مع السعي للتوصل إلى تعريف دقيق له.

7. منهج البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي في تتبع الآيات القرآنية المختارة والتي تناولت مفهوم التسامح من خلال مرادفاته (الصفح، العفو، الغفران)، ثم اتبعت المنهج الوصفي التحليلي لتحليل دلالات الألفاظ المفتاحية المرتبطة بهذا المفهوم، وذلك بهدف الكشف عن الرؤية القرآنية الشاملة للتسامح ضمن سياقاتها المختلفة.

كما استند البحث إلى خطوات الدراسة المصطلحية ومنهجها العلمي القائم على أسس منهجية دقيقة في الوسائل والإجراءات، بالإضافة إلى توظيف المنهج الوصفي التاريخي في الدراسة المعجمية بهدف تتبّع تطور مفهوم التسامح ومرادفاته من الناحية اللغوية والاصطلاحية، وقد استفاد البحث أيضًا من المنهج الاستنباطي، لا سيّما في الجوانب الدلالية وفي استخلاص عناصر التعريف والنتائج المستخلصة من مجمل الدراسة.

وقد كانت منهجية الباحث كالآتي:

أ– قام الباحث باستخراج نماذج من الآيات القرآنية التي تتناول مرادفات التسامح المعنية بالبحث، وهي (الصفح، العفو، الغفران).

ب- بوّب الباحث مطالب بحثه بعناوين، كل عنوان ذكر له مثالاً من الآيات.

ج- قام الباحث بشرح الآيات المعنية بالبحث وتفسيرها من كتب التفسير؛ لمعرفة معنى المصطلح سياقياً.

د- بيّن الباحث مبهمات الألفاظ والكشف عن معانيها من خلال كتب المعاجم والاصطلاح.

هـ - وضح الباحث الدلالات التي تحويها كل آية معنية بالبحث.

المبحث الأول: مفهوم التسامح في المعاجم

تطلَّبَ دراسة مفهوم "التسامح" في المعاجم ما يأتي:

أولاً: تحليل معنى المصطلح في المعاجم اللغوية، بهدف تحديد جذره اللغوي والمعاني التي تم تقديمها له، ومقارنة تفسيرات المصطلح في المعاجم المختلفة لتوسيع فهمه في سياقات متنوعة، سواء كانت ثقافية، دينية، أو اجتماعية.

ثانيًا: فحص تعريف المصطلح في المعاجم الاصطلاحية؛ لتوثيق جهود العلماء في هذا المجال، مع دراسة تطور المفهوم عبر العصور؛ ومن أجل تحقيق هذين المتطلبين؛ قُسِّمَ المبحث الأول إلى مطلبين، وهما كالآتي:

المطلب الأول: التسامح في المعاجم اللغوية:

تتطلب دراسة مفهوم التسامح في المعاجم اللغوية الوقوف على مادته (س-م-ح) ، ضمن المعاجم اللغوية؛ لتحديد منشأها ومدارها اللغوي، وبالتالي توضيح المعنى الدقيق للتسامح في اللغة، والذي يمكن دراسته كالآتي:

أ. المنشأ: عند البحث في استخدامات مادة التسامح (سمح): السين والميم والحاء في اللغة أصل يدل على السلاسة والسهولة، والكرم والتفضل والجود، وينبع مفهوم التسامح من السماحة، التي تعني الحرية والمساواة دون تمييز على أساس الجنس أو العرق، فقد جاء في الحديث الشريف " أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة".(البخاري، 2018، ص22)، وقد حثَّ ديننا الحنيف على الإيمان بجميع الرسل من باب التسامح مع الأديان الأخرى، كما قال تعالى: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ" (البقرة، 258) .

فمعاني "التسامح اللغوية تدور حول العفو، والصفح، والتعاون، والتشاور، والتآزر، والتراحم، والمغفرة" (عسّاف، 2002، ص19)، وبناءً على ذلك، فإنَّ البحث في مفهوم التسامح في المعاجم اللغوية يجب أن يتعدى البحث في مادة (س، م،ح)، ليشمل أيضًا مواد لغوية أخرى، مثل: (ع، ف، و)، (ص، ف، ح)، (غ، ف، ر)، بالإضافة إلى المفردات المرتبطة به، مثل: المسامحة، الجود، الكرم، التنازل، الإعطاء ، كما يشمل الصبر؛ لأنه يعني "القدرة على تحمل الرأي الآخر والصبر على أشياء لا يحبها الإنسان "(عطا، 1964،ص 44)، كما يعني أيضاً " التساهل مع الغير، أو الترخيص له بكذا أو كذا: الشيء الذي يجعل المسامِح في وضعية أعلى من المسامح له ويعني الارتفاع بهذه العلاقة إلى مستوى الإيثار" (الجابري، 1997، ص31)

ممّا سبق نستنتج أنَّ منشأ مادة التسامح يرتبط بفكرة سماحة الأخلاق، والتي منها سماحة العطاء، سماحة العفو، سماحة التنازل، سماحة الغفران، سماحة الصبر على الآخر.

ب.مدار الكلمة وأصلها اللغوي: ذُكر في المقاييس إنَّ: مادة (سَمحَ) السّين وَالْمِيم، والْحّاء أَصْلٌ ويَدُلُّ سلاسة وسهولة، يُقال: سمح له بالشيء، ورجل سمحٌ، أي: جوّاد، وقومُ سُمحاء ومساميح (ابن فارس، 2007) وتعني أيضاً "اللين والسهولة وتأتي في اللغة مرادفة لكلمة التساهل" (مصطفى، 1989، ص446)، ويأتي السماح في قاموس المنجد بمعنى "الجود والكرم و التساهل، ... وسَمَاحَة العود، بمعنى سَهْلُ ولَيّنُ، و"تسامح: تساهل، والتسامح يعني التساهل" (لويس،2009، ص 349)، وتسمّح الرجل: تكلّف السماحة، أي: التساهل والكرم (مختار، 2008)، والتسميح السير السهل والتسميح السرعة والمسامحة في الطعان والضراب والعدد إذا كانت على مساهلة (الفيومي، 1993)، والمسامحة : المساهلة.**(الرازي، 1995)**

ويغدو التسامح "نوعاً من الكرم والتفضل والجود، وليس حقاً يستحقه الآخر، فهو لا يعني منع الحق في الحرية الدينية ، وإنما هو مجرد سخاء من موقع استعلائي، لا مساواة فيه بين المتكرم والمتكرم عليه، يد عليا تبسط ، ويد سفلى تقبض، إذ المتسامح متفوق دائماً، أما المتسامح معه ففي مستوى أدنى ، وهذا التقارب يضمن احترام وكرامة الأدنى ، وفي المعجم الفرنسي نجد عدة معاني لنفس الكلمة ،كالتفهم والتساهل، والإحجام عن المنع ؛ لذلك فإن البحث عن مفهوم التسامح في المعجم الغربي، لا ينبغي أن يتوقف عند مادة (س، م، ح) بل يحتاج أن يشمل مادة (ع ، ف، و)، أو مادة: (درأ) وما حف بالتسامح والعفو والصبر من عبارات مصاحبة ورديفه؛ لذا فإن البحث ينتهي إلى أن عبارات التسامح ما تزال دالة على سلوك ذاتي واختياري، فهي بذلك لا تشمل المساواة التامة بين حقوق الطرف الغالب، والأطراف الأخرى" (الغرباوي، 2024، ص ص 12-13)

فمن خلال التعريفات اللغوية السابقة يتضح جلياً أنَّ معنى الجذر الثلاثي(سمح) يقترن اقتراناً لا يقترن بعدة مترادفات، منها: التساهل، الصفح ، الغفران، التجاوز، العفو ...وغيرها.

والتعمق في البعد اللغوي لمفهوم التسامح يكشف عن فهم واضح لمعناه وبنيته وسياقاته المتنوعة، وتؤكد القواميس اللغوية على تعريف التسامح بالمعنى الأخلاقي، حيث يُعتبر موقفًا فكريًا وعمليًا يعتمد على تقبل المواقف الفكرية والعملية التي يأتي بها الآخرون، سواء كانت متوافقة أو مغايرة لمواقف الفرد.

وبناءً على ما سبق يمكننا استنتاج تعريفاً للتسامح في القرآن الكريم، حيث يمكننا القول بأنّه: بأنه خلق إيماني يقوم على تجاوز الأذى والظلم بالعفو والرحمة، ويشمل مغفرة الذنوب والعفو عن الآخرين. وهو من مظاهر التقوى وأساس في بناء مجتمع متماسك يسوده التعايش والمودة، ويرتبط برحمة الله التي يدعو القرآن إلى الاقتداء بها لإصلاح العلاقات وتعزيز الروابط الإنسانية.

المطلب الثاني: التسامح في المعاجم الاصطلاحية

ذكر الجرجاني: أنَّ التسامح: استخدام اللفظ في غير الحقيقة دون قصد علاقته المعنوية، ويعني: التساهل في التعبير، أي أن يكون اللفظ مُستخدمًا بطريقة لا تشير إلى المعنى المقصود بشكل واضح (الجرجاني، 2007)، ويراه الجابري (1997) بأنه: التساهل مع الآخرين أو السماح لهم بالقيام بشيء ما يعد بمثابة رفع مكانة الشخص المُسامِح فوق مكانة الشخص المُسامَح له، مما يجعل هذه العلاقة ترتقي إلى مستوى الإيثار، أي: الموقف الذي يعكس قوة الضمير وشفافية النزعة الإنسانية وعظمة الروح الأخلاقية، ويظهر في أوجه القوة والفعالية والتجلي عندما يتحول التسامح إلى موقف إنساني ثابت، يرتكز على التزام أخلاقي راسخ ويصبح مصدرًا للإلهام (الميلاد، 2007)، ويراه أركون (2000) بأنه: الاعتراف بحق الفرد المواطن في التعبير داخل الفضاء المدني عن أفكاره السياسية والدينية والفلسفية بحرية، ولا يجوز معاقبته على آرائه إلا إذا حاول فرضها بالقوة والعنف على الآخرين، أي هو احترام الموقف المخالف، سواء كان ذلك الغير مشاركاً لنا في الملة أو غير مشارك (ابن رشد، 1980).

ويرى البعض التسامح من المنظور الديني بأنه: الابتعاد عن التشدد في الدين الواحد، واتباع نهج اليسر الذي يُعتبر الأفضل من جهة، مع احترام حق الأقليات الدينية في ممارسة عقائدها وشعائر دينها بحرية تامة، دون أي تضييق أو ضغط. هذا ما يراه الجابري وآخرون.(الجرجاني، 2007)، ذكر الحلو (1994) في معجمه أن التسامح: هو تقبل تصرفات وآراء الآخرين مع القدرة على مقاومتها ورفضها.

ومن خلال ما سبق نلاحظ أنَّ التمحيص في البُعد اللغوي والاصطلاحي للتسامح يتيح لنا تصورًا واضحًا لمعناه وبنيته وسياقاته المتعددة. وتؤكد ذلك القواميس اللغوية والاصطلاحية التي تتفق إلى حد بعيد على تعريف التسامح كموقف فكري وعملي يرتكز على قبول الآراء والمواقف الفكرية، بما في ذلك الأفعال التي تصدر عن الآخرين، سواء كانت متوافقة مع مواقفنا أو مخالفة لها.

المبحث الثاني: مفهوم مرادفات التسامح في القرآن الكريم ودلالاتها في السياق القرآني.

حثَّ الشرع الحنيف على العفو عن المسيء ومسامحته عندما تكون القدرة متاحة، فبينما تُعدّ المعاقبة جوهر العدل والإنصاف، يُعدُّ التسامح قمة الفضل والإحسان. ويُعتبر هذا الخلق الكريم من أبرز سمات وأخلاق الإسلام، الذي دعا إليه وحثّ عليه في عدة مواضع، حيث ورد لفظ "التسامح" في القرآن الكريم بصورة ضمنية بعدة معانٍ، تارةً يُقصد به العفو، وتارةً المغفرة، وأحيانًا المحبة. ومن هنا، سيتناول حديثنا في هذا المطلب الألفاظ التي تتقارب مع معنى التسامح وترادفه في كتاب الله تعالى، وهي (الصفح والعفو والمغفرة)، فعلى الرغم من أن لفظ "التسامح" لم يرد بشكل مباشر في القرآن الكريم، إلاَّ أنَّ معانيه تجلَّت في العديد من المفاهيم القرآنية التي تدعو إلى السماحة، ومن أبرز هذه المفاهيم: السماحة في المعاملات بين الناس، الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، الحلم وكظم الغيظ وسعة الصدر، فضلاً عن العفو والصفح، وتظهر هذه المعاني بوضوح في العديد من الآيات القرآنية المباركة،وبعد التدبر في نصوص القرآن، تبيّن أن من الألفاظ التي تحمل معاني مرادفة للتسامح ما يأتي:

المطلب الأول: الصفح (مفهومه لغة واصطلاحاً، ودلالاته في السياق القرآني):

أ. الصفح لغة: ذُكر في اللسان(2016): صَفَحْتُ عن ذَنبِ فُلانٍ، وأَعْرَضْتُ عَنه، فَلَم أُؤَاخِذْهُ بِهِ، وضَرَبْتُ عن فُلانٍ صَفْحًا، إذا أَعْرَضْتُ عَنه وتَرَكْتُه. والصفوح هو الذي أَعْرَضَ عن ذَنْبِهِ، وهو صَفُوحٌ عَفُوٌّ، والصَّفُوحُ هو الكَرِيمُ الذي يَصْفَحُ عمَّن جَنَى عليه (الفيروزآبادي، 2005). والصَّفْحَ مُشْتَقٌّ مِن صَفْحَةِ العُنُقِ، لأَنَّ مَن يَصْفَحُ، كأَنَّهُ يُوَلِّي صَفْحَةَ عُنُقِهِ، إعْراضًا عن الإِسَاءَةِ.(البقاعي،2006)

ب. الصفح اصطلاحاً: ذكر الراغب (2009) أن التّصافح: هو التَّجَاوُزُ عن الذَّنْبِ مَعَ التَّرْكِ التَّامّ لِلتَّثْرِيبِ وَالتَّعْنِيفِ، وَهُوَ أَبْلَغُ وَأَرْقَى مِنَ العَفْوِ؛ لأَنَّ العَفْوَ قَدْ يَكُونُ مَقْرُونًا بِالتَّذْكِيرِ بِالخَطَأِ أَوِ العِتَابِ، أَمَّا الصَّفْحُ فَهُوَ مَرْحَلَةٌ أَعْلَى، فِيهَا سُمُوُّ النَّفْسِ وَكَرَمُ الطَّبْعِ، حَيْثُ يُعْرِضُ الإِنْسَانُ عَنِ الإِسَاءَةِ كَأَنَّهَا لَمْ تَكُن، وَلَا يَتْبَعُهَا بِلَوْمٍ وَلَا تَأْنِيبٍ.

ولا يختلف الرضا (2013) عن **الراغب** حيثُ يذكر أنّ الصَّفْحُ: هُوَ الإِعْرَاضُ عَنِ المُذْنِبِ بِصَفْحَةِ الوَجْهِ، وَكَأَنَّ الصَّافِحَ يُوَلِّيهِ وَجْهَهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، لَا عَنْ تَجَاهُلٍ أَوْ تَغَافُلٍ، فَيَجْمَعُ فِي مَعْنَاهُ بَيْنَ تَرْكِ العِقَابِ، وَتَرْكِ اللَّوْمِ، وَالإِمْسَاكِ عَنِ التَّثْرِيبِ وَالعِتَابِ. وَمِنْ هُنَا كَانَ الصَّفْحُ أَبْلَغَ مِنَ العَفْوِ؛ لِأَنَّ العَفْوَ قَدْ يَكُونُ مَعَهُ تَعْنِيفٌ أَو تَذْكِيرٌ بِالذَّنْبِ، أَمَّا الصَّفْحُ فَهُوَ مَقَامُ الكِرَامِ، وَدَلِيلُ نُبْلٍ وَسُمُوٍّ فِي الخُلُقِ.

ج . دلالات الصفح في السياق القرآني:

من أسمى القيم الأخلاقية التي حثّ عليها الإسلام الصفح، وقد برزت هذه الفضيلة بوضوح في مواضع متعددة من القرآن الكريم، حيث شُرع الصفح كنهج راقٍ في التعامل مع الأذى والعداوة، لما له من دور في تحقيق التوازن النفسي والاجتماعي.

وفي السياق القرآني، لا يُفهم الصفح على أنه مجرد عفو عن الخطأ، بل هو خلق رفيع يقوم على الإعراض عن الإساءة بأسلوب كريم، دون غضب أو رغبة في الانتقام، بل بروح من الإحسان والتسامح الحقيقي.

وقد وردت هذا اللفظ في سياقات متنوعة تدل على التسامح، منها: "تصفحوا، وليصفحوا، اصفح، الصفح، صفحًا". تأتي هذه الآيات متمثلة في المواضيع الآتية:

1 .الصفح في مواجهة أذى المشركين:

منها قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر/ 85)

السياق تحمل الآية تَوْجِيهٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي كَيْفِيَّةِ التَّعَامُلِ مَعَ أَذَى المُشْرِكِينَ، بِأَنْ يَكُفَّ عَنِ العِقَابِ، وَيُقَابِلَ أَسَاءَتَهُمْ بِالرَّحْمَةِ وَالحِلْمِ. وَقِيلَ: إِنَّ المَقْصُودَ بِالصَّفْحِ هُوَ الرِّضَا دُونَ عِتَابٍ، وَقَالَ سَهْلٌ: هُوَ الصَّفْحُ الَّذِي لَا يَتْبَعُهُ حِقْدٌ وَلَا تَوْبِيخٌ، بَلْ هُوَ إِعْرَاضٌ جَمِيلٌ، نَقِيٌّ مِنَ الكُرْهِ وَالثَّأْرِ، يُجَسِّدُ كَمَالَ الخُلُقِ وَعِظَمَ التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ الرُّسُلِ.

الدلالة :تحمل هذه الآية عدة دلالات، منها:

– الرَّبْطُ بَيْنَ خَلْقِ الْكَوْنِ وَيَقِينِ السَّاعَةِ يُضْفِي عَلَى الصَّفْحِ بُعْدًا عَقَائِدِيًّا عَظِيمًا، إِذْ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ – وَهُوَ الْعَادِلُ الْحَكِيمُ – سَيُجَازِي فِي الْآخِرَةِ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، فَلَا حَاجَةَ لِلطَّلَبِ بِالثَّأْرِ أَوِ الِانْتِقَامِ فِي الدُّنْيَا.

– التَّأْكِيدُ بِـ"إِنَّ" وَ"لَآتِيَةٌ"، يُفِيدُ تَحْقِيقَ الْوُقُوعِ وَتَأْكِيدَ قُرْبِ السَّاعَةِ، مِمَّا يُثَبِّتُ الْقَلْبَ وَيُعَزِّزُ مَعْنَى التَّسْلِيمِ لِقَضَاءِ اللهِ.

– أَمَّا "الصَّفْحُ الْجَمِيلُ"، فَهُوَ أَرْقَى مَرَاتِبِ الْعَفْوِ، لِأَنَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَ تَرْكِ الْعُقُوبَةِ وَتَجَنُّبِ التَّأْنِيبِ وَاللَّوْمِ، وَيَدُلُّ عَلَى نُبْلِ النَّفْسِ، وَسَعَةِ الصَّدْرِ، وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ، وَهُوَ خُلُقُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْعُظَمَاءِ.

2 .الصفح في مواجهة الجهل والإعراض

قال تعالى :﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف/ 89)

السياق :يذكر الطبري في تفسير معنى سياق هذه الآية أمر الله لرسوله ﷺ: اصْفَحْ عَنْهُمْ عَمَّا يَبْلُغُكَ مِنْ أَذَاهُمْ، مِمَّا يَنْطِقُونَ بِهِ أَوْ يَفْعَلُونَ، وَاعْفُ عَنْهُمْ بِسَمَاحَةِ نَفْسٍ وَرِفْعَةِ خُلُقٍ، وَلَا يَصْدُرْ مِنْكَ نَحْوَهُمْ إِلَّا الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ، وَالسَّلَامُ الَّذِي يُقَابِلُ بِهِ أُولُو العُقُولِ وَالْبَصَائِرِ مَنْ جَهِلَ عَلَيْهِمْ، كَمَا وَصَفَ اللهُ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان/ 63)، أَيْ خِطَابًا يَلِيقُ بِجَهْلِهِمْ، فَلَمْ يَكُونُوا لِذَلِكَ إِلَّا حُلَمَاءَ رُسُلًا لِلسَّلَامِ وَالإِحْسَانِ. (الطبري ،2010)

فَكَذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَدِ امْتَثَلَ أَمْرَ رَبِّهِ، وَتَلَقَّى أَذَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ بِصَدْرٍ وَاسِعٍ، وَقَلْبٍ صَافٍ، فَلَمْ يُجَازِهِمْ إِلَّا بِالعَفْوِ وَالصَّفْحِ، وَالخِطَابِ اللَّيِّنِ وَالإِحْسَانِ.وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ سَيُدْرِكُونَ – عَاجِلًا أَوْ آجِلًا – عَوَاقِبَ ذُنُوبِهِمْ، وَمَا جَرَّهُ عَلَيْهِمْ جُرْمُهُمْ مِنْ نَدَامَةٍ وَخُسْرَانٍ. (ابن كثير، 2009)

الدلالة :تحمل دلالات عميقة في المعنى، خاصة في سياق التعامل مع أذى المشركين والجهلاء، ويمكن شرح المعنى الدلالي لها كما يأتي:

– تجسد **الرحمة في الإسلام** وتدعو إلى العفو عن الأذى، مع العلم أن الجزاء قادم، ولكن ليس في الدنيا بالضرورة، بل في الآخرة حيث الحساب والجزاء.

– الصفح يعني التغاضي عن الأذى دون معاقبة أو ردّ الإساءة، سواء كانت قولًا أو فعلًا .هو توجيه إلهي للنبي ﷺ ليتعامل مع إساءة المشركين بالصبر والعفو، مما يعكس الخلق الرفيع الذي يدعو إليه الإسلام.

– السلام كتحية تعبر عن اللطف والرفق، حيث يُوجَّه المسلم إلى تحية المشركين بكلمة "سلام" رغم إساءاتهم، بعيدًا عن الرد بالمثل، مما يعكس التعامل الراقِي مع الجهل والعدوان.

– الصفح مقرون بالسلام، فيُعبر عن أسلوب راقٍ في الرد على الجاهلين دون جدال أو صدام.

3. الصفح في العلاقات الاجتماعية

– قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(النور/ 22)

السياق :نزلت هذه الآية في أبي بكر الصِّدّيق رضي الله عنه، حين حَلَفَ ألّا يُنْفِقَ على مصطح بن أُثاثة، بعد أن خاض في حادثة الإفك مع من خاض، وكان مصطح قريبًا له، وكان أبو بكر يُنفق

عليه.فلما نزل قول الله تعالى:﴿وَلْيَعْفُواوَلْيَصْفَحُوا﴾، أي: فَلْيَتَجَاوَزُوا، وَلْيُسَامِحُوا، وَلَا يُعَاقِبُوا.﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾أي :كَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، فَاغْفِرُوا لِمَنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ، فقال أبو بكر رضي الله عنه عند سماعه الآية:بَلَى وَاللَّهِ، إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي"، ثم عادَ إلى الإِنْفَاقِ عَلَى مِصْطَحٍ، وقال:والله لا أقطعها أبدًا بعد هذا .ثم خُتمت الآية بقوله:﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾أي: واسع المغفرة، كثير الرحمة، فكونوا أنتم كذلك. (ابن كثير، 2009)

الدلالة :تحمل الآية دلالات عظيمة تربط **السلوك الإنساني** برحمة الله ومغفرته، وفيما يأتي أبرزها: – – حثُّ المؤمنين **على العفو عن من أساء إليهم**، وعدم الاقتصاص منهم أو الردّ بالإساءة.

- صيغة أمر في ﴿وَلْيَعْفُواوَلْيَصْفَحُوا﴾، تدلّ على أن العفو ليس مجرد خُلُق اختياري، بل هو **توجّه إيماني مطلوب**، ومرغوب فيه شرعًا.
- قوله تعالى :﴿**أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ يُظهر **أن مغفرة الله للعبد مرتبطة بعفوه عن الناس.**
- الله لم يُعنِّف من امتنع عن العفو، بل **أيقظ في قلبه الحب لمغفرة الله**، وكأنه يقول: "إذا كنتم تحبون أن يُغفر لكم، فابدؤوا أنتم بالغفران."
- ختم الآية بقوله :﴿**وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ فيه: تطمينٌ للعبد أن الله يغفر ويَرحم، وتحفيزٌ للاقتداء بهذه الصفات في التعامل مع الخلق.

– الآية تحثُّ على **العفو والصفح**، لا سيّما عن الأقارب والمحتاجين، وتربط ذلك بمحبة العبد لمغفرة الله له، فمن أراد أن يُغفر له، فليغفر للناس.

4. الصفح والعدل

– ﴿ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التغابن/ 14)

السياق: في شَأنِ الأَهْلِ وَالأَوْلادِ الَّذِينَ قَدْ يَدْفَعُونَ المُؤْمِنَ إِلَى مُخَالَفَةٍ أَوْ تَقْصِيرٍ، ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي هذِهِ الآيَةِ أَنَّ مِنْ أَزْوَاجِ المُؤْمِنِينَ وَأَوْلادِهِمْ مَنْ قَدْ يَكُونُ سَبَبًا فِي إِبْعَادِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، إِمَّا بِتَثْبِيطِهِمْ عَنِ الهِجْرَةِ أَوْ عَن أَدَاءِ الفَرَائِضِ. لِذَا، يُحَذِّرُهُمُ اللهُ مِنَ الاسْتِجَابَةِ لِهذِهِ الضُّغُوطِ، ثُمَّ يَدْعُوهُمُ اللهُ إِلَى العَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنْ تَقْصِيرِ هَؤُلَاءِ الأَقَارِبِ، وَالتَّغَاضِي عَنْ أَفْعَالِهِمُ الَّتِي قَدْ تُؤْذِيهِمْ، مُشِيرًا إِلَى أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غَفُورٌ رَحِيمٌ.

هذَا التَّوْجِيهُ الإِلَهِيُّ يُعَزِّزُ مِنْ قِيمَةِ التَّسَامُحِ وَالعَفْوِ فِي العَلَاقَاتِ الأُسَرِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ، وَيَحُثُّ المُؤْمِنِينَ عَلَى تَجَاوُزِ الإِسَاءَةِ وَالتَّمَسُّكِ بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ.(الطبري، 2010)

الدلالة : الآية لها دلالات تربوية وأخلاقية وإيمانية عظيمة، نُجملها فيما يأتي:

- الآية تدعو إلى التسامح من خلال ثلاث مراتب:العفو: ترك المؤاخذة، والصفح :تجاوز اللوم والتثريب، والمغفرة :ستر الذنب وعدم استحضاره، ففي العفو راحة نفسية، وفي الصفح طمأنينة روحية، وفي المغفرة رفعة أخلاقية.

- جاءت الآية في سياق الحديث عن الأزواج والأبناء الذين قد يكونون سببًا في الفتنة أو التقصير الديني، ومع ذلك، يُوجَّه المؤمن إلى العفو عنهم ومسامحتهم، مما يُبرز :أهمية الرحمة داخل الأسرة، وضبط النفس وعدم تحويل الزلّات إلى قطيعة.
- خُتمت بـ"فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"، فيه حثٌّ على أن يتخلّق العبد بصفات ربه:فيغفر كما يحب أن يُغفر له، ويرحم كما يُرجى له الرحمة.
- الصفح هنا بديل عن الغضب والانتقام، ويقترن بالعفو والمغفرة، تأكيدًا على رحابة صدر المؤمن.

المطلب الثاني: العفو(مفهومه لغة واصطلاحاً، ودلالاته في السياق القرآني):

أ. العفو لغة: عَفا يَعْفُو عَفْوًا، فَهُوَ عَافٍ وعَفُوٌّ... والعَفْوُ هُوَ التَّجَاوُزُ عَنِ الذَّنْبِ وَتَرْكُ العِقَابِ عَلَيْهِ. وَأَصْلُهُ المَحْوُ وَالطَّمْسُ. وَعَفَوْتُ عَنِ الْحَقِّ: أَسْقَطْتُهُ، كَأَنَّكَ مَحَوْتَهُ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ (ابن منظور، 2016)، وَكُلُّ مَنِ استَحَقَّ عُقُوبَةً فَتَرَكْتَه فَقَدْ عَفَوْتَ عَنْهُ. وَقَدْ يَكُونُ أَنْ يَعْفُوَ الإِنسَانُ عَنْ الشَّيْءِ بِمَعْنَى التَّرْكِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ عَنْ اسْتِحْقَاقٍ.(**ابن** فارس، 2007)

ب. العفو اصطلاحاً: ذكر الراغب(2009) أنَّ العفو: العَفْوُ هو التَّجافي عن الذَّنبِ، وذكر آخر: هو التَّجاوُزُ عن الذَّنْبِ وتَرْكُ العِقابِ عَلَيْهِ (الفيومي، 2009) ، ولم يختلف السيوطي (2004) في تعريفه للعفو حيث ذكر بأنَّ العفو: تَركُ المُؤاخَذةِ بالذَّنبِ .

ج . دلالات العفو في السياق القرآني:

يُعدّ العفو من القيم الأخلاقية الرفيعة التي حثّ عليها القرآن الكريم، وارتبطت بسِمات الله تعالى، مثل "العفو" و"الغفور". ويأتي العفو في السياق القرآني دلالةً على التسامح، وتجاوز الزلات، سواء من الله تجاه عباده أو بين الناس فيما بينهم. كما يُبرز القرآن أن العفو لا يُعدّ ضعفًا، بل هو مظهر من مظاهر القوة والسمو الأخلاقي، ويقرنه غالبًا بالثواب والأجر العظيم، مما يدل على مكانته العالية في الإسلام، ويمكن توضيح دلالات العفو في السياقات القرآنية الآتية:

1.العفو في سياق المعاملات الزوجية

منه قوله عز وجل:﴿وَأَنْ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة/ 237)

السياق: معنى الآية في سياقها: إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ قَبْلَ مَسِّهِنَّ وَفَرَضْتُمْ لَهُنَّ مَهْرًا، فَلَهُنَّ نِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ، وَلَكُمْ نِصْفُهُ إِلَّا إِنْ عَفَوْنَ أَوْ عَفَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ، وَهُوَ الزَّوْجُ، لِأَنَّهُ الْمَالِكُ لِحَلِّ العَقْدِ. وَرَغَّبَ فِي الْعَفْوِ، فَإِنَّ الَّذِي يَعْفُو قَرِيبٌ مِنَ التَّقْوَى لِمَا فِيهِ مِنَ الإِحْسَانِ وَفَضْلٍ. فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَنْسَى النَّاسُ الفَضْلَ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ، وَخَاصَّةً مَعَ مَنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ خُلُوطٌ وَمُخَالَطَةٌ. إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. يتحدث عن المهر في حالة الطلاق قبل الدخول. (السعدي، 2007).

الدلالة : من الدلالات التي تحملها هذه الآية ما يأتي:

– أنها تبرز مشروعية العفو سواء من المرأة (أن تعفو عن نصف المهر) أو من الزوج (الذي بيده عقدة النكاح، أي الزوج الذي يملك الطلاق). هذه الدعوة للتسامح تفتح بابًا للصلح والتعاون بين الطرفين.

- في قوله تعالى ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، يُرَغِّب الله في التسامح والعفو عن الحقوق، مبينًا أن ذلك أقرب إلى التقوى، وهي صفة عظيمة يحبها الله تعالى. يشجع المؤمنين على التحلي بالصبر والمرونة، بما في ذلك في المعاملات الزوجية.
- وفي قول اله عزّ وجل﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ تذكير بأهمية العطف والإحسان بين الناس، خاصة في العلاقات الأسرية. هذا يدل على أن المعاملة بين الزوجين يجب أن تتسم بالرحمة والمودة، ولا تتحول إلى قسوة أو ظلم بسبب الخلافات.
- وقوله جلّ جلاله ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يُختتم النص بتأكيد أن الله يُراقب جميع أفعالنا، مما يرفع من مسؤولية المؤمنين ويحثهم على التصرف بحذر وأمانة في تعاملاتهم، لا سيما في الأمور الحساسة مثل الطلاق.
- الآية تدعو إلى العدل والتسامح والإحسان في المعاملات الزوجية، مع التأكيد على مراعاة الحقوق والفضائل، والتحلي بالتقوى في اتخاذ القرارات، خصوصًا في الأوقات الصعبة كحالات الطلاق.
- الحث على التسامح وتقديم الفضل، حتى في لحظات الفُرقة، فالعفو هنا خلق يُظهر النبل والرقي.

2. العفو في مقام القصاص والعدالة:

ومنه القول:﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى/40)

السياق: ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي هذِهِ الآيَةِ مَرَاتِبَ الجَزَاءِ عَلَى السَّيِّئَاتِ، وَهِيَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: العَدْلُ، وَالفَضْلُ، وَالظُّلْمُ.

فَمَرْتَبَةُ العَدْلِ: أَنْ يُجْزَى السَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا، دُونَ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ، كَأَنْ يُقَابَلَ القَتْلُ بِالقَتْلِ، وَالجِرَاحُ بِمِثْلِهَا، وَالخُسْرَانُ فِي المَالِ يُقَوَّمُ بِمِثْلِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾.

وَأَمَّا مَرْتَبَةُ الفَضْلِ: فَهِيَ العَفْوُ عَنِ المُسِيءِ، مَعَ إِصْلَاحِ الحَالِ، وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾؛ أَيْ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ تَكَفَّلَ لَهُ بِالأَجْرِ العَظِيمِ وَالثَّوَابِ الجَزِيلِ.وَقَدِ اشْتَرَطَ اللهُ الإِصْلَاحَ مَعَ العَفْوِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ العَفْوَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَصْلَحَةٌ، أَوْ تَرَتَّبَ عَلَيْهِ تَمَادٍ فِي البَاطِلِ، فَلَا يُنْدَبُ إِلَيْهِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ تَرْكُهُ أَوْلَى.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ تَرْغِيبٌ عَظِيمٌ لِلْعَفْوِ، وَتَحْفِيزٌ لِلْعَبْدِ أَنْ يُعَامِلَ الخَلْقَ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامِلَهُ اللهُ بِهِ، فَكَمَا يُحِبُّ أَنْ يَعْفُوَ اللهُ عَنْهُ، فَلْيَعْفُ عَنِ النَّاسِ، وَكَمَا يُحِبُّ أَنْ يُسَامِحَهُ، فَلْيُسَامِحْهُمْ، فَإِنَّ الجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ.

وَأَمَّا مَرْتَبَةُ الظُّلْمِ: فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، وَهُمُ الَّذِينَ يَبْدَؤُونَ بِالإِسَاءَةِ، أَوْ يُبَالِغُونَ فِي الرَّدِّ، فَيَزِيدُونَ عَلَى قَدْرِ الجِنَايَةِ، فَهذِهِ زِيَادَةٌ تُعَدُّ ظُلْمًا لَا يُحِبُّهُ اللهُ تَعَالَى. (السعدي، 2007)

الدلالة :تحمل في طيّاتها دلالات عظيمة في باب **العدل والتسامح والإصلاح**، ومن أبرز ما تدل عليه:

- الآية تُقِرُّ أن من حق الإنسان أن يردَّ على الإساءة بمثلها، وهذا هو العدل، وهو ما تطيقه النفس البشرية بطبعها.
- ﴿سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾: أي لا يجوز الزيادة في العقوبة، بل الاقتصار على المماثلة، فالجزاء بالمثل جائز بشرط ألا يتعدى حدود الحق.
- رغم جواز الرد، إلا أن الله يُرغِّب في العفو، ويقرنه بـ"الإصلاح"، مما يدل على أن العفو وحده لا يكفي إن لم يكن فيه إصلاحٌ للأثر أو دفعٌ للمفسدة.
- ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾: أي أن الله يتكفّل بثواب من يعفو ويصلح، وهو وعد عظيم، فيه تحفيز على التجاوز عن الإساءة.
- خُتمت الآية بقوله :﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، لتُبيّن أن الظلم لا يقع فقط بالعدوان ابتدءًا، بل أيضًا بتجاوز حدّ الرد، فالمظلوم قد يتحول إلى ظالم إذا انتقم بأكثر مما يستحقه الجاني.
- من عفا مع إصلاح، ارتقى مرتبة عظيمة في الأخلاق، وسلك سبيل المحسنين الذين وصفهم الله في مواضع عدة، فحين يقترن العفو بالإصلاح، تُبنى المجتمعات على الحب والتسامح لا على الثأر والعداوة، وهذا يعزز السلام الاجتماعي.

3. العفو في تعامل النبي ﷺ مع المخالفين

ومنه الآية: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعلراف/ 199)

السياق: دَخَلَ فيه صِلَةُ القاطِعينَ، والعَفْوُ عن المُذنِبينَ، والرِّفقُ بالمُؤمنينَ، وغيرُ ذلكَ مِن أخلاقِ المُطيعينَ. وشَمِلَ صِلَةَ الأرحامِ، والتَّقوى في الحلالِ والحرامِ، وغَضَّ الأبصارِ، والاستِعدادَ لدارِ القَرارِ.

وأيضاً فيهِ احثٌّ على التَّعلُّقِ بالعلمِ، والإعراضِ عن أهلِ الظُّلْمِ، والتنزُّهِ عن منازَعَةِ السُّفَهاءِ، ومُساواةِ الجُهَّالِ الأغبياءِ، وغيرِ ذلكَ من الأخلاقِ الحَميدةِ، والأفعالِ الرشيدةِ. (ابن كثير ، 2009)

الدلالة :تحمل هذه الآية دلالات تربوية وأخلاقية عظيمة، تتضمن منهجًا قرآنيًّا متكاملًا في التعامل مع الناس، وفيما يلي أبرز **الدلالات التي تحملها الآية:**

– التعامل مع الناس باللين والتجاوز عن الزلات، فلا تُحمّلهم فوق طاقتهم،يدخل فيه:العفو عن المسيئين، صلة من قطعك، الإغضاء عن أخطاء الناس اليومية.

– إنَّ الأصل في العلاقات الاجتماعية هو الصفح والتسامح، لا الشدة والتعنيف.

– الدعوة إلى كل ما هو معروف ومستحسن من الأخلاق والعادات والتعاليم الشرعية، يشمل: الأمر بالصدق، والإحسان، والتقوى، والإصلاح بين الناس، والرفق في القول.

– الدعوة لتحصين المجتمع بالأخلاق الفاضلة، والحرص على نشر القيم النبيلة.

– الترفّع عن الجهل وأهله ، وعدم مجارتهم في أقوالهم وأفعالهم، وهذا يعكس علوّ النفس وكرم الخلق.

– الآية ترسم طريقًا راقيًا للتعامل مع الناس، مبنيًّا على:العفو في ردّ الإساءة، والأمر بالخير، والتجاهل الحكيم للسفه والجهل، وهذا هو خُلق النبي ﷺ.

4 .العفو المقترن بالصفح والغفران

ومنه:﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (النور/ 22)

السياق: في قصة الإفك والتوجيه بعدم قطع الإحسان عن من أساء، وقد سبق وأن تكلمنا عن سياقها في مبحث سابق.

الدلالة :يربط القرآن بين عفو الإنسان عن الآخرين ومغفرة الله له، ما يعزز خلق التسامح بدافع إيماني.

5. العفو الإلهي

ومنه القول: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ (الحج/ 60)

السياق : يُخْبِرُنا اللهُ في هذه الآيةِ أنَّ مَن يُقابِلُ الظُّلمَ بالعدلِ دونَ أن يَتَجاوَزَ، ثمَّ يَتَعرَّضُ لظُلمٍ آخَرَ بَعدَ ذلك، فإنَّ اللهَ يَتَكَفَّلُ بِنَصْرِهِ.وهي تتحدَّثُ عنِ المسلمينَ الذينَ طُرِدُوا مِن دِيارِهِم، أو قُتِلوا في سبيلِ اللهِ، أو صَبَروا على أذى المُشرِكينَ، فوَعَدَهُمُ اللهُ بالنَّصْرِ والتمكينِ.

ويُرْوَى أنَّ بَعضَ المُشركينَ بَدَؤُوا القتالَ في شَهرٍ مُحرَّمٍ (من الأشهُرِ الحُرُمِ التي يُحَرَّمُ فيها القتالُ)، فطَلَبَ منهمُ المُسلِمونَ التوقُّفَ احترامًا لحُرمةِ الشَّهرِ، لكنَّ المُشركينَ أبَوْا، فاضْطُرَّ المُسلِمونَ للقتالِ دِفاعًا عن أنفسِهم، وانْتَصَرُوا، فَنَزَلَتِ الآيةُ تَأكيدًا على مَشروعيَّةِ رَدِّ الاعتداءِ بالمِثلِ، مع وَعْدٍ بالنَّصْرِ مِنَ اللهِ.

وخُتمت :"**إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**" أي: رغمَ أنَّ اللهَ قادِرٌ على العقوبةِ، إلَّا أنَّه يُحِبُّ العَفْوَ والمَغفِرَةَ، ويَحُثُّ عِبادَه على التَّسامُحِ متى ما أُمكِن، خاصَّةً إنِ انتَصَرُوا ولم يَظْلِموا أحَدًا. (الطبري ، 2010)

الدلالة :تحمل دلالات عظيمة في باب **العدل، والدفاع، والتسامح، والرجاء في نصر الله،** ومن أبرز ما تشير إليه:

- تُقرّ **الآية حقّ الدفاع المشروع،** والرد بالمثل دون تجاوز، وهذا يدلّ على أن الشريعة تحفظ للمظلوم حقّه، دون أن تجعله يتعدى حدّ الإنصاف.
- فيها **بشرى عظيمة** للمظلوم الذي بُغي عليه بعد أن التزم بالعدل في الرد: فالله **يتولّى نصره،** وهذا النصر قد يكون في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معًا.
- رغم إقرار الرد بالمثل،إلاّ أنها تحوي دعوة ضمنية أن **العفو أفضل وأقرب للتقوى،** إذا كانت المصلحة فيه، فكما أن الله عفوّ غفور، يحب من عباده أن يعفوا ويصفحوا.
- ختم الآية باسمَي "**العَفُوّ، الغَفُور** " مع سياق يتكلم عن الانتصار، يُشير إلى أن المنتصر **لا ينبغي أن يطغى،** بل ليقتدي بربّه في الرحمة والعفو إن قُدِّر له ذلك.

- الآية توازن بين **العدل في القصاص والفضل في العفو**، وتُربّي النفوس على أن **الحق لا يُنتزع بالظلم**، وأن من **بُغي عليه وصبر وانتصر بلا تعدٍّ، فإن الله معه، ينصره ويؤيده**، ومع ذلك **فإن العفو عند المقدرة من شيم الكرام.**
- يُبرز كمال صفات الله، حيث يعفو عن الذنوب رغم علمه بها وقدرته على المحاسبة، مما يُعد قدوة للمؤمنين في العفو عن الآخرين.

تُظهر الدراسة السياقية لمصطلح "العفو" ودلالاته في القرآن الكريم أنه يمثل قيمة إلهية عظيمة، أولاها الإسلام اهتمامًا بالغًا، وجعلها من سمات المؤمنين الصادقين. وقد تنوعت الأساليب والسياقات القرآنية في تناول هذا الخُلق، بهدف ترسيخه في النفوس، وتعزيز روح التسامح، والابتعاد عن مشاعر الحقد والرغبة في الانتقام، بما يُسهم في تحقيق التوازن النفسي والاجتماعي، فالعفو في المنظور القرآني ليس مجرد الامتناع عن العقاب، بل هو خُلق راقٍ يعكس نُضجًا روحيًا، ونقاءً داخليًا، وسموًا في التعامل، مما يجعله أحد الدعائم الأساسية لبناء مجتمع إنساني تسوده المودة والسلام.

المبحث الثالث: الغفران(مفهومه لغة واصطلاحاً، ودلالاته في السياق القرآني):

أ. الغفران لغة:

ذُكر في التهذيب: **الغُفْرَانُ** :المُسامَحَةُ وَالعَفْوُ، يُقالُ :**غَفَرَ لَهُ**، إذا **سَامَحَهُ وَعَفَا عَنْهُ.والاسْتِغْفَارُ** :طَلَبُ المَغْفِرَةِ.ويَأْتِي **الغُفْرَانُ بِمَعْنَى التَّجَاوُزِ عَنِ الذَّنْبِ وَعَدَمِ المُؤَاخَذَةِ بِهِ**، يُقالُ :**غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ**، أَيْ :**سَتَرَهَا وَتَجَاوَزَ عَنْهَا.**

وأَصْلُ **الغُفْرَانِ** مِن **الغَفْرِ**، وَهُوَ :**التَّغْطِيَةُ وَالسَّتْرُ وَالإِدْخَالُ**، وَمِنْهُ سُمِّيَ **العَفْوُ غُفْرَانًا**؛ لِأَنَّهُ **سَتْرٌ لِلذَّنْبِ، وَإِدْخَالٌ لِلْعَبْدِ فِي العَفْوِ**.(الأزهري، 2004)، وذُكر في اللسان : أَصْلُ الغَفْرِ: التَّغْطِيَةُ وَالسَّتْرُ، وَغَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ، أَيْ سَتَرَهَا... وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ فَقَدْ غَفَرْتَهُ... وَكُلُّ ثَوْبٍ يُغَطَّى بِهِ شَيْءٌ فَهُوَ غِفَارَةٌ.(ابن منظور، 2016).

ب. الغفران اصطلاحاً:

ومنها قول الحليمي (2008): الغَفَّارُ: وهو المبالِغُ في السَّترِ، فلا يشهَرُ المذنِبَ لا في الدُّنيا ولا في الآخرةِ. ومنها الغَفورُ: وهو الذي يَكثُرُ منه السَّترُ على المذنِبينَ من عِبادِه، ويزيدُ عَفْوُه على مؤاخذتِه

تكررت مشتقّات مادة "غفر" في القرآن الكريم 234 مرة، ممَّا يعكس أهمية هذه الصفة الإلهية. وقد ورد الحث على طلب المغفرة بصيغ متنوّعة في 7 مواضع (البقرة: 199، هود : 3 و 52 و 92، نوح : 10، المزّمّل : 20، فصّلت : 4)، بينما وُصف الله تعالى بـ"الغفور" في 91 موضعًا، وبـ"الغفّار" في 5 مرات (غافر: 22، ص : 44، الزمر : 5، نوح : 10، طه: 89)، وبـ"الغافر" مرة واحدة (غافر: 3)، وهذا التكرار في ذكر المغفرة وأسمائه تعالى المشتقة من هذه المادة، يدل بوضوح على سعة رحمة الله ورأفته بعباده، وخاصة في تعامله مع المذنبين.

ج . دلالات الغفران في السياق القرآني:

يُعدّ الغفران من القيم المحورية في القرآن الكريم، حيث يتكرر ذكره في سياقات متعددة تُبرز رحمة الله الواسعة، وتحثّ الإنسان على التوبة والرجوع إليه. والغفران في السياق القرآني لا يُفهم فقط على أنه مسامحة للذنب، بل هو تعبير عن تجليات صفات الله كالغفور، الرحيم، والتواب، مما يعكس بُعدًا عميقًا في العلاقة بين العبد وربه. وتتنوع دلالات الغفران في القرآن بين غفران الذنوب، والعفو عن الزلات، وتطهير النفس، مما يرسّخ مفهوم الأمل والرحمة في قلب المؤمن، ويجعل من التوبة بابًا مفتوحًا لا يُغلق، وتتمثل بعض دلالاته في الآتي:

1.الغفران من صفات الله تعالى:

منه قوله تعالى:﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر/ 53)

السياق :تُعَدُّ هذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ دَعْوَةً عَامَّةً لِجَمِيعِ العُصَاةِ، مِنَ الكُفَّارِ وَغَيْرِهِمْ، إِلَى التَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ، وَفِيهَا إِخْبَارٌ بِأَنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لِمَنْ تَابَ مِنْهَا وَرَجَعَ عَنْهَا، مَهْمَا بَلَغَتْ، وَإِنْ كَثُرَتْ، وَكَانَتْ بِقَدْرِ زَبَدِ البَحْرِ.

وَلَا يَصِحُّ حَمْلُ هذِهِ الآيَةِ عَلَى غَيْرِ التَّوْبَةِ؛ لِأَنَّ الشِّرْكَ لَا يُغْفَرُ لِمَنْ لَمْ يَتُبْ مِنْهُ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ نُصُوصٌ أُخْرَى صَرِيحَة. (ابن كثير، 2009)

الدلالة :تحمل هذه الآية المباركة **مجموعة عظيمة من الدلالات والمعاني التربوية والعقائدية**، منها:

- تبشّر الآية بسعة رحمة الله التي تشمل جميع الذنوب مهما عظمت، إذا تاب العبد ورجع إلى الله، حيث جاء التعبير بـ "ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا" للدلالة على الشمولية والعموم.
- نداء الله لعباده بلفظ "**يَا عِبَادِيَ**" رغم إسرافهم في المعاصي، يدلّ على محبته لعباده ورغبته في عودتهم إليه، ولم يُخصِّص الآية بالمؤمنين فقط، بل وجّهها لكل من "أسرف على نفسه"، كائنًا من كان.
- قوله: "**لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ** "نهيٌ صريحٌ عن القنوط واليأس، وهو من كبائر الذنوب؛ والآية تعطي العاصي **أقصى درجات الأمل**، وتطمئن قلبه بأن باب العودة مفتوح دائمًا، وأن الله لا يتعامل مع عباده باليأس والعقوبة فقط، بل بالرحمة والمغفرة خُتمت الآية بوصف الله **بِٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ** ، تأكيدًا على أن المغفرة ليست طارئة، بل هي من صفاته الدائمة، يُكرم بها من يشاء.
- الآية تعالج نفسية العاصي التي قد تميل إلى القنوط بعد الذنب، وتعيد له التوازن والاطمئنان بأن التوبة الصادقة كفيلة بمحو كل ما مضى.
- ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾، فيها تأكيد لسعة مغفرة الله تعالى، مهما عظمت الذنوب، شرط العودة الصادقة إليه.

2. طلب الغفران من الله

ومنه: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾(الحشر/ 10)

السياق: يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى فِي هذِهِ الآيَةِ عَنْ حَالِ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ جَاءُوا بَعْدَ الصَّحَابَةِ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، بِأَنَّهُمْ يَدْعُونَ لِهَؤُلَاءِ السَّابِقِينَ بِالإِيمَانِ، قَائِلِينَ :﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾، وَيَسْأَلُونَ اللهَ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ مِنْ كُلِّ حِقْدٍ أَوْ ضَغِينَةٍ تِجَاهَ المُؤْمِنِينَ، قَائِلِينَ :﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾.وَقَدْ ذَكَرَ المُفَسِّرُونَ أَنَّ المَقْصُودَ بِـ"الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ" هُمُ المُسْلِمُونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا بَعْدَ الصَّحَابَةِ، وَهُمْ مَأْمُورُونَ بِالدُّعَاءِ لِمَنْ سَبَقَهُمْ بِالإِيمَانِ، وَعَدَمِ الطَّعْنِ أَوِ الحِقْدِ عَلَيْهِمْ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الأَثَرِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الانْتِقَاصِ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، لِمَا لَهُمْ مِنْ فَضْلٍ عَظِيمٍ، حَتَّى قَالَ: "وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ؟ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ".(الطبري ، 2010)

الدلالة :من الدلالات التي تحملها الآية ما يأتي:

- وصفهم بـ " **وَلِإِخۡوَٰنِنَا** " دلالة على أن الأخوّة في الإسلام هي أعظم من روابط النسب والقرابة، وأن الإيمان هو الذي يجمع القلوب.
- **وفي قوله ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا﴾** دلالة على طلب صريح من المؤمن على نقاء قلبه من الضغائن والأحقاد تجاه إخوانه المؤمنين.
- خُتمت الآية بالتوسل إلى الله بـ﴿الرؤوف الرحيم﴾، ما يدل على الرجاء في رحمته ورأفته، ودلالة أيضاً على حسن الظن بالله، وأن رحمته تشمل من تاب وأناب وسأل الصفح والغفران.

3. مغفرة الله للأنبياء والمؤمنين

ومنه قوله تعالى: **﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا﴾ (نوح: 28)**

السياق: في هٰذِهِ الآيَاتِ يُوَجِّهُ نَبِيُّ اللهِ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ دُعَاءً إِلَى رَبِّهِ، يَسْأَلُهُ فِيهِ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ وَيَغْفِرَ لَهُ، وَيَشْمَلَ بِدُعَائِهِ وَالِدَيْهِ، رَاجِيًا مِنَ اللهِ أَنْ يَسْتُرَ ذُنُوبَهُمَا وَيَغْفِرَهَا.

ثُمَّ يُخَصِّصُ بِالذِّكْرِ مَنْ دَخَلَ بَيْتَهُ مُؤْمِنًا، وَالْمَقْصُودُ بِالْبَيْتِ هُنَا: قِيلَ إِنَّهُ مَنْزِلُهُ، وَقِيلَ: مَسْجِدُهُ أَوْ مَكَانُ عِبَادَتِهِ، أَيْ: كُلُّ مَنْ جَاءَ إِلَى مَكَانِ عِبَادَتِهِ مُؤْمِنًا بِاللهِ، مُخْلِصًا فِي صَلَاتِهِ، طَالِبًا رِضَا اللهِ، مُسْتَحِقًّا لِلرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ.

ثُمَّ يَعُمُّ بِدُعَائِهِ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، مِمَّنْ صَدَّقُوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَآمَنُوا بِرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ، فَيَطْلُبُ لَهُمُ الْمَغْفِرَةَ، دَلَالَةً عَلَى سَعَةِ رَحْمَتِهِ وَحِرْصِهِ عَلَى الْخَيْرِ لِجَمِيعِ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ.وَفِي الْمُقَابِلِ، يَطْلُبُ مِنَ اللهِ أَلَّا يَزِيدَ الظَّالِمِينَ – الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَانَدُوا الْحَقَّ – إِلَّا خُسْرَانًا وَهَلَاكًا، جَزَاءً لِمَا اقْتَرَفُوهُ مِنْ ظُلْمٍ لِأَنْفُسِهِمْ وَعَدَاوَةٍ لِأَنْبِيَاءِ اللهِ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يُضْرَبُ حَتَّى يُغْشَى عَلَيْهِ، فَإِذَا أَفَاقَ دَعَا لِقَوْمِهِ، طَالِبًا الْمَغْفِرَةَ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ – مِنْ جَهْلِهِمْ – لَمْ يُدْرِكُوا الْحَقَّ، فَكَانَ مِثَالًا فِي الرَّحْمَةِ وَالصَّبْرِ وَالدُّعَاءِ، حَتَّى مَعَ مَنْ آذَوْهُ. (الطبري، 2010)

الدلالة :يتجلى حمل كلمة "المغفرة" في هذا السياق دلالات عميقة مستمدة من دعاء نبي الله نوح عليه السلام، فهي تعني الستر والتجاوز عن الذنوب، حيث يطلب نوح العفو لنفسه، فيتوسل إلى الله ألا يؤاخذه بذنوبه، ثم يوسّع دائرة الدعاء لتشمل والديه ومن دخل بيته مؤمنًا، في دلالة على أن المغفرة دعوة شاملة للرحمة لا تقتصر على الذات.

وتتجلى فيها سعة الرحمة الإلهية، حين يعمّ نوح بدعائه جميع المؤمنين والمؤمنات، ما يعكس أن المغفرة لا تُمنح بناءً على القرب الشخصي بل بالإيمان، وتعبّر عن عناية الله بعباده الصالحين.

كما تعكس المغفرة في هذا السياق تسامح نوح وصبره، إذ ظل يدعو لقومه رغم إيذائهم له، مما يجعل المغفرة سلوكًا أخلاقيًا نبيلاً، لا مجرد طلب.

وفي المقابل، يظهر تمايز واضح بين من يستحق المغفرة ومن لا يستحقها، حيث يدعو نوح بأن يُزاد الظالمون خسارًا، وهو ما يبيّن أن المغفرة مشروطة بالإيمان، ويقابلها الهلاك جزاءً للكفر والظلم.

4. المغفرة شرط في قبول التوبة

ومنه:﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: 110)

السياق: يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى فِي هٰذِهِ الآيَاتِ عَظِيمَ فَضْلِهِ وَسَعَةَ رَحْمَتِهِ، وَيُؤَكِّدُ لِعِبَادِهِ أَنَّ بَابَهُ مَفْتُوحٌ لِلتَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ مَهْمَا عَظُمَتِ الذُّنُوبُ وَكَثُرَتْ، فَكُلُّ مَن أَذْنَبَ، سَوَاءٌ أَكَانَ ذَنْبُهُ صَغِيرًا أَمْ كَبِيرًا، ثُمَّ تَابَ وَاسْتَغْفَرَ اللهَ بِصِدْقٍ، فَإِنَّهُ سَيَجِدُ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا، يَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ.

وَقَدْ وَرَدَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ اللهَ أَخْبَرَ عِبَادَهُ بِسَعَةِ عَفْوِهِ وَحِلْمِهِ، وَأَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا مَهْمَا بَلَغَتْ، وَلَوْ كَانَتْ أَعْظَمَ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ...

كَمَا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ مِنْ فَضَائِلِ هٰذِهِ الْأُمَّةِ أَنَّ اللهَ جَعَلَ الْمَاءَ طَهُورًا لَهُمْ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِمُ التَّوْبَةَ، خِلَافًا لِمَا كَانَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ كَانَتِ الْكَفَّارَاتُ تُكْتَبُ عَلَى الْأَبْوَابِ، وَكَانُوا يُشَقُّونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

وَيُفْهَمُ مِنْ ذٰلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَفْتَحُ بَابَ الرَّجَاءِ لِعِبَادِهِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْمُسَارَعَةِ إِلَى الِاسْتِغْفَارِ، وَعَدَمِ الْقُنُوطِ مِنْ رَحْمَتِهِ، فَإِنَّ رَحْمَتَهُ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَمَغْفِرَتَهُ أَعْظَمُ مِنْ مَعَاصِيهِمْ. (ابن كثير، 2009)

الدلالة : تحمل العديد من الدلالات التي تتعلق بصفات الله تعالى، وأهمية التوبة والاستغفار، وفضائل الرحمة والمغفرة، ومن أهم دلالاتها:

– تكرار صفة "غفور" و"رحيم" في الآية دلالة على أن الله يغفر الذنوب ويستجيب للاستغفار برحمة واسعة، وأنه لا يحاسب عباده على ذنوبهم في الدنيا إن تابوا واستغفروا، بل يُعفو عنهم برحمة ورأفة.

– " **يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا**" في الآية تأكيد ودلالة صريحة على أن الله يغفر جميع أنواع الذنوب، حتى الذنوب الكبيرة طالما أن العبد استغفر ورجع إليه.

– "يعمل سوءًا أو يظلم نفسه" إشارة إلى أن الإنسان لا يخلو من الخطأ، لكنه مدعو للاعتراف والرجوع إلى الله.

الخاتمة

وبعد هذه الدراسة المصطلحية والسياقية الدلالية لمفردات التسامح في القرآن الكريم، والمتمثلة في: الصفح، والعفو، والغفران، يتبيّن بوضوح مدى عمق هذا المفهوم في البناء القيمي والأخلاقي للتشريع الإسلامي. فقد أظهر التحليل اللغوي والسياقي أن هذه المصطلحات، رغم تقاربها في المعنى، إلا أن لكل منها خصوصية دلالية تُثري المعنى العام للتسامح وتمنحه أبعادًا متعددة، تعكس شمولية الخطاب القرآني وقدرته على مخاطبة النفس البشرية في مختلف أحوالها، وقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1. من خلال التعمّق في البعد اللغوي لمفهوم التسامح يُظهر صورة واضحة عن معناه وبنيته وسياقاته المختلفة، كما توضحه قواميس اللغة ومعاجم الاصطلاح، التي تكاد تتفق على أن التسامح – بمعناه الأخلاقي – هو موقف فكري وعملي يقوم على تقبّل آراء ومواقف الآخرين، سواء وافقت أو خالفت مواقفنا.

2. تُظهر الدراسة السياقية لمصطلح "العفو" في القرآن الكريم أنه يمثل قيمة إلهية عظيمة، أولاها الإسلام اهتمامًا بالغًا، وجعلها من سمات المؤمنين الصادقين. وقد تنوعت الأساليب والسياقات القرآنية في تناول هذا الخُلق، بهدف ترسيخه في النفوس، وتعزيز روح التسامح، والابتعاد عن مشاعر الحقد والرغبة في الانتقام، بما يُسهم في تحقيق التوازن النفسي والاجتماعي.

2. إنَّ الدراسة السياقية لمرادفات التسامح: (العفو والصفح والمغفرة) قد أبرزت تمايزًا دقيقًا؛ فالصفح يتسم بالبعد النفسي والروحي، متجاوزًا مجرد إسقاط العقوبة إلى التغاضي التام عن الإساءة، أما العفو فغلبت عليه سمة التجاوز العملي عن الخطأ، بينما جاء الغفران مشبعًا بالبُعد الإلهي المتعلق بستر الذنب ومحو أثره، مما يعكس تدرجًا رائعًا في مستويات التسامح بين البشر، وبين العبد وربه.

3. يمكن تعريف التسامح في القرآن الكريم بأنه قيمة إيمانية تقوم على تجاوز الأذى والظلم بالعفو والرحمة، وتشمل العفو عن الذنوب ومغفرة الآخرين، وهو من معاني التقوى، ويسهم في ترسيخ التعايش وبناء مجتمع متماسك، كما يرتبط برحمة الله ويحث على الاقتداء بها لإصلاح العلاقات وتعزيز الروابط بين الناس.

وختاماً.. يظل القرآن الكريم مصدرًا لا ينضب من القيم السامية، التي تُعزز إنسانية الإنسان، وتدعو إلى بناء مجتمع تسوده الرحمة والمغفرة، وتزدهر فيه معاني الصفح والعفو، في ظل هدي إلهي متكامل لا نظير له.؛ ممَّا يدعو إلى مزيد من التأمل في ألفاظ القرآن واستنباط دلالاتها من سياقاتها المتعددة، بما يعزز من فهمنا العميق لمقاصد النص القرآني، ويُسهم في ترسيخ قيم التسامح في واقعنا العملي والفكري.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب .

1. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، الجزء الثالث، دار الفكر، 2007.
2. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، الطبعة الثانية، **دار الكتب العلمية – بيروت** ، 1430هـ / 2009 م.
3. ابن كثير، إسماعيل الدمشقي، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة، 2009.
4. إبراهيم، مصطفى أحمد، المعجم الوسيط، إسطنبول: دار الدعوة، الطبعة الثانية، 1989م، ص 446.
5. أحمد بن محمد الفيومي،المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، ص 288، 2009.
6. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، الجامعة الأمريكية بالقاهرة، 2008.
7. الأزهري، أبو منصور، تهذيب اللغة، دون طبعة، دار الكتب العلمية، 2004، 112/8.
8. الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، عن معقل بن يسار، صحيح المتن. المجلد الثاني، كتبة المعارف، الرياض، 1995، ص135
9. الأصفهاني، الراغب، مفردات غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، 2009، ص 282، ومفردات ألفاظ القرآن، 2007، ص 574.
10. أركون، محمد، قضايا في نقد العقل الديني: كيف نفهم الإسلام اليوم، ترجمة: هاشم صالح، بيروت: دار الطباعة للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، 2000م، ص 243.
11. البخاري، كتاب الإيمان، باب: الدين يسر، الجزء الأول، ص22، برقم 38.
12. البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرَّج أحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي .الطبعة الثانية، **دار الكتب العلمية – بيروت** ، عام 1424 هـ،
13. ابن رشد، محمد بن أحمد، تهافت التهافت، الطبعة الثالثة، تحقيق سلمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص 369.
14. التستري، سهل بن عبد الله، تفسير التستري،2011، دون طبعة، الجزء الأول، ص89.
15. الجابري، محمد عابد، قضايا في الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1997، ص31.
16. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، الطبعة الأولى، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ، ص7.
17. الحليمي، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم ، المنهاج في شعب الإيمان، تحقيق: حلمي محمد فودة، **الطبعة** : الأولى،1/201 ، 1979.
18. الحلو، عبده، معجم المصطلحات الفلسفية (فرنسي – عربي، مكتبة لبنان ناشرون ، 1994، ص 361.
19. الرازي، محمد بن أبي بكر(ت 666 هـ)، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، 1995م، ص 326،
20. رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، دون طبعة، دار النوادر للنشر والتوزيع، الجزء الأول، 2013، ص 347.
21. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)،الطبعة الثاني، دار ابن الجوزي، 2005م.

22. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2004، ص 203.
23. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، مؤسسة الرسالة، 2010.
24. عطا، محمد، الحرية الدينية حق من حقوق الإنسان، المجلة العربية لحقوق الإنسان، العدد 1، 1964، ص 44.
25. عسّاف، نظام، سؤال التسامح، مركز عمان لدراسات حقوق الإنسان، مطبعة الشعب، دزن طبعة، إربد، الأردن، 2002م، ص19.
26. الغرباوي، ماجد،فرص التعايش بين الأديان والثقافات ، الطبعة الثالثة، دار العارف للمطبوعات في بيروت، 2024 .
27. الفيومي، حمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، الطبعة الثالثة، مكتبة لبنان، 2009، ص 110.
28. مجد الدين محمد بن يعقوب، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، 2005، 1/292
29. محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، بتصرف، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1997، ص3.
30. محمود، فوزية، ونصار، حنان، برنامج تنمية التسامح لدى طفل الروضة، مجلة كلية التربية، جامعة طنطا، العدد 43، 2011، ص ص 298-371.
31. المعلوف، لويس بن نقولا ضاهر، قاموس المنجد في اللغة، الطبعة الرابعة، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2010، ص 349.
32. الميلاد، زكي، الإسلام والإصلاح الثقافي، بتصرف، دون طبعة، دار أطياف للنشر والتوزيع، القطيف، السعودية، 2007م، ص9.